

## التحرير والتنوير

فضح أحوال المنافقين بعد كثير من دخالهم وتولد بعضها عن بعض من كذب وخيس بعهد ا [ ] واضطراب في العقيدة ومن سفالة نفوس في أجسام تغر وتعجب ومن تصميم على الإعراض عن طلب الحق والهدى وعلى صد الناس عنه وكان كل قسم من آيات السورة المفتوح ب " إذا " خص بغرض من هذه الأغراض . وقد علمت أن ذلك جرت إليه الإشارة إلى تكذيب عبد ا [ ] بن أبي بن سلول فيما حلف عليه من التنصل مما قاله .

وختمت بموعظة المؤمنين وحثهم على الإنفاق والادخار للآخرة قبل حلول الأجل .  
( إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول ا [ ] وا [ ] يعلم إنك لرسوله وا [ ] يشهد إن المنافقين لكاذبون [ 1 ] ) لما كان نزول هذه السورة عقب خصومة المهاجرين والأنصارى ومقالة عبد بن أبي في شأن المهاجرين . تعين أن الغرض من هذه الآية التعريض بكذب عبد ا [ ] بن أبي وبنفاقه فصيغ الكلام بصيغة تعم المنافقين لتجنب التصريح بالمقصود على طريقة قول النبي A " ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب ا [ ] " ومراده مولى بريرة لما أراد أن يبيعها لعائشة أم المؤمنين واشترط أن يكون الولاء له وابتدئ بتكذيب من أريد تكذيبه في ادعائه الإيمان بصدق الرسول A وإن لم يكن ذلك هو المقصود إشعارا بأن ا [ ] أطلع رسول ا [ ] A على دخالهم وهو تمهيد لما بعده من قوله ( وا [ ] يشهد إن المنافقين لكاذبون ) لأن رسول ا [ ] A يعلم أن المنافقين قالوا : نشهد إنك لرسول ا [ ] . فيجوز أن يكون قولهم ( نشهد إنك لرسول ا [ ] ) محكيا بالمعنى لأنهم يقولون عبارات كثيرة تفيد معنى أنهم يشهدون بأنه رسول ا [ ] مثل نطقهم بكلمة الشهادة . ويجوز أن يكونوا توطؤوا على هذه الكلمة كلما أعلن أحدهم الإسلام . وهذا أليق بحكاية كلامهم بكلمة ( قالوا ) دون نحو : زعموا .

و ( إذا ) طرف للزمان الماضي بقرينة جعل جملتيها ماصيتي والطرف متعلق بفعل ( قالوا ) وهو جواب ( إذا ) .

ا [ ] لرسول إنك نشهد يقولون أنهم تعلم إنك : فالمعنى A E .  
و ( نشهد ) خبر مؤكد لأن الشهادة الإخبار عن أمر مقطوع به إذ هي مشتقة من المشاهدة أي المعاينة . والمعاينة أقوى طرق العلم ولذلك كثر استعمال : أشهد ونحوه من أفعال اليقين في معنى القسم . وكثر أن يجاب بمثل ما يجاب به القسم قاله ابن عطية . ومعنى ذلك : أن قوله ( نشهد ) ليس إنشاء . وبعض المفسرين جعله صيغة يمين . وروي عن أبي حنيفة .  
والمقصود من قوله ( وا [ ] يشهد إن المنافقين لكاذبون ) إعلام النبي A وإعلام المسلمين

بطائفة مبهمة شأنهم النفاق ليتوسموهم ويختبروا أحوالهم وقد يتلقى النبي A بطريق الوحي تعيينهم أو تعيين بعضهم .

والمنافقون جمع منافق وهو الذي يظهر الإيمان ويسر الكفر وقد مضى القول فيه مفصلا في سورة آل عمران .

وجملة ( إنك لرسول الله ) بيان لجملة ( نشهد ) .

وجملة ( والله يعلم إنك لرسوله ) معترضة بين الجملتين المتعاطفتين وهذا الاعتراض لدفع إيهام من يسمع جملة ( والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ) أنه تكذيب لجملة ( إنك لرسول الله ) فإن المسلمين كانوا يومئذ محفوفين بفئام من المنافقين مبثوثين بينهم هجيرا هم فتنة المسلمين فكان المقام مقتضيا دفع الإيهام وهذا من الاحتراس .

وعلق فعل ( يعلم ) عن العمل لوجود ( إن ) في أول الجملة وقد عدوا " إن " التي في خبرها لم ابتداء من المعلقات لأفعال القلب عن العمل بناء على أن لام الابتداء هي في الحقيقة لام جواب القسم وأن حقها أن تقع قبل ( إن ) ولكنها زحلت في الكلام كراهية اجتماع مؤكدين متصلين وأخذ ذلك من كلام سيويه .

وجملة ( والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ) عطف على جملة ( قالوا نشهد ) .

وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوي الحكم .

وجيء بفعل ( يشهد ) في الإخبار عن تكذيب الله تعالى إياهم للمشكلة حتى يكون إبطال خبرهم مساويا لإخبارهم